سلسلة تأملات فى أيات (٢)

والله يضاعف لمن يشاء

تأليف

أبى عبد الله مصطفى أبن العدوى

مَكْتَبَة مَكَّة

طنطا: ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - ٠١٢٢٤٨٩٨٥٣

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى
(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م)

رقم الايداع : ١٤٣٢٠/ ٢٠٠٥

الناشر

مكتبة مكة
١٠ ش طه الحكيم أمام استديو فينوس
ت : ٠٤٠/ ٣٢٩٥٧٤٥ - ٠١٢/ ٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِ العالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وليُّ المتقين ، وأشهد أن محمدًا رسول الله سيد ولد آدم أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن استنَّ بِسنَّتِهِ ، واهتدى بهديهِ واقتفى أثره إلى يوم الدين .

وبعد :

* فلقد صدق الله في كل ما قال ، وأَخْبرَ : **﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾** [النساء: ١٢٢] ، **﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾** [النساء: ٨٧] .

لقد صدق الله إذ قال : **﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا**

الأَلْبَاب ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

* وصَدَق رسولُهُ ﷺ ، وما كَذَبَ ! وبلَّغ وأدَّى وما غشّ وما كَتَم ! ونَصَحَ وما خَدَع وما بخل ، وما هو على الغيب بضنين [١] .

* لقد صدق رسول الله ﷺ إذ قال : « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » [٢] .

فحقًّا : ﴿ **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وحقًّا : « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » .

---

(١) أي : ليس بمتهم ولا ببخيل ، فلم يبخل بتعليم أمته كل ما يقربهم إلى الله وجنته ويباعدهم عن سخط الله وعذابه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١) ومسلم (حديث ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

* إن الفقيهَ العامل الـمُخلص في عمله ، يعملُ قليلا ويؤجر كثيرًا !!!

* والحكيم من الناس الذي تعلَّم الكتاب والسنة ، وتفقه فيهما يضعُ الأمور مواضعها الصحيحة !! ويُنزلها منازلها اللائقة بها ، ويختار من الأقوالِ والأعمالِ ما يُناسب المقاماتِ والأحوال !!

* إن العبرة ليست بكثرة الأقوال والأعمال ، وإنما العبرة بسلامة القصد وحُسن العمل !!! إنها بإخلاص النوايا لله عزَّ وجل ، وصدقها وكذا بحسن المتابعة والانقياد.

* لقد قال الله في كتابه الكريم : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠]

أما العمل الصالح فهو العمل الموافق للكتاب والسنة .

أمـا قـولـه تـعـالـى : ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ففيه نهيٌ عن الشرك ونهيٌ عن الرياء بالإجماع !!

* ونرجع فنقول : ليست العبرة بكثرة العمل ، وإنما بسلامته وحُسْنِهِ والإخلاصِ فيه إذ الأعمال المتقبلة إنما تتقبل بالنيات الصحيحة .

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » (١) وكذا تتقبل الأعمال بحُسْنها وموافقتها للكتاب والسنة !!

* قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] .

* وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي

(١) أخرجه البخاري (حديث ١) ومسلم (حديث ١٩٠٧) .

سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود: ٧] .

* فلم يَقُل اللهُ في الآيتين ليبلوكم أيكم أكثر عملا ، ولكنه قال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (١) .

* ولذا فاللبيبُ العاقلُ ، والذَّكيُّ الفَطِنُ يحرص على أن يغنم الغنيمة بأقل جهدٍ مبذول في أسرع وقتٍ مُمكن!!

وهذا يتأتى - بسؤال الله التوفيق - ثم بالنظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وكذا النظر في أقوال من آتاهم الله العلم والحكمة ، وخيرُهم أنبياءُ الله عليهم السلام ثم صحابة الرسول الكريم ثم التابعون لهم بإحسان إلى يوم

---

(١) ولاشك أن العمل إذا كان حسنًا كثيرًا أخلص فيه صاحبه لله ، لاشك أنه - والحالة هذه - أفضل من العمل القليل قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ .

الدين .

* إن هناك كلمات يُثاب عليها الأشخاص ، ولكن ثمَّ كلماتٌ أُخر أعظم أجرًا وأجملُ ثوابًا .

* وهناك أعمالٌ يُثاب عليها الأشخاص ، ولكن ثمَّ أعمال أُخر أعظمُ أجرًا وخيرُ مردًا .

* وكذا فهناك خُطَىً يخطوها الناس ، ولكن ثمَّ خُطَىً أعظم بركة ، وأحسنُ أثرًا .

* بل، وهناك صلوات أعظم أجرًا من صلوات[١] !!!

* وصدقات أعظم أجرًا من صدقات [٢] !!!

(١) فصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، وصلاة في المسجد النبوي تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام .

(٢) فالصدقة على القريب المحتاج لها أجران أجر الصدقة ، وأجر الصلة .

* وصيام أعظم أجرًا من صيام (١) !!!

* وعُمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ (٢)!!!

* إن كلمة لا إله إلا الله هي أعظم الكلمات فلا يثقل مع اسم الله شيء !!

* وهذا حديث البطاقة (٣) شاهدٌ بذلك !

(١) وصيام عاشوراء ، وكذا صيام يوم عرفة أفضل من صيام في سائر الأيام إلا رمضان .

(٢) انظر البخاري (حديث ١٨٦٣) ومسلم (حديث ١٢٥٦) .

(٣) حديث البطاقة هذا أخرجه الترمذي رحمه الله تعالى (٢٦٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله سيُخلِّص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله** ، =

* وكلمة الحمد لله تملأ الميزان [١] !!

* وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض [١] !!

* وثمَّ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : « **سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** » [٢] .

* ولقد قال النبي ﷺ لأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها وقد خرج من عندها بكرةً حين صلى الصبح ، وهي

= **فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقلُ مع اسم الله شيءٌ** » .

(١) أخرجهما مسلم (مع النووي ٣/ ٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/ ٥٣٧) ومسلم (حديث ٢٦٩٤).

في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة فقال: « **ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟** » قالت: نعم ، قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدَكِ أربعَ كلمات ثلاثَ مراتٍ لو وُزنتْ بما قُلت مُنذ اليوم لوزنتهنُ ، سبحان الله وبحمده عدد خَلْقه ، ورضا نَفْسه ، وزنَةَ عَرْشه، ومدَاد كَلماته**» [١].

* وفي رواية : « **سبحان الله عَدد خَلْقه ، سبحان الله رضا نَفْسه ، سبحان الله زِنَةَ عَرْشِه ، سبحان الله مِداد كَلمَاته**» [١] .

* ثمَّ إن هناك كلمة هي كنزٌ من كنوز الجنة ، ألا وهي : **لا حول ولا قوة إلا بالله** [٢] .

---

(١) أخرج هذه الروايات مسلم في صحيحه (مع النووي ١٧ / ٤٤ ـ ٤٥) من حديث جويرية رضي الله عنها .
(٢) انظر البخاري (حديث ٦٣٨٤) ومسلم (٢٧٠٤) .

* وإذا نظرنا إلى أمرٍ كالصلاة ، وبحثنا عن أسباب زيادة الأجر فيها بشيءٍ من التوسع رأينا أن صلاة الرجل في جماعة تفضل صلاتَه وحْدَه بسبعٍ وعشرين درجة [١] ، وورد أيضًا بخمسٍ وعشرين [٢] وورد كذلك بضعًا وعشرين [٣] إلى غير ذلك من الروايات .

وأسباب اختلاف الأجر ـ مع أن الجماعة هي الجماعة ـ يرجعُ إلى حُسن صلاةِ الإمام وحُسن استماع المأمومين ، وكثـرةِ الصفـوف واستوائهـا ، وحُسـن التـلاوة وحُسـن الإنصات ، واتباع السنة في الصلاة وتحري صفة صلاة رسول الله ﷺ إلى غير ذلك من أسباب التفاوت في

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٥) ومسلم (مع النووي ٥/ ١٥٢) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٦) ، (٦٤٧) ومسلم (مع النووي ٥/ ١٥٢) .
(٣) مسلم (مع النووي ٥/ ١٥٣) .

الأجور [1] .

(١) وقد ذكر شيئًا كثيرًا من ذلك الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) في فتح الباري (٢/١٥٦ ـ ١٥٧) فقال : وقد نقحت ما وقفت عليه من ذلك وحذفت ما لا يختص بصلاة الجماعة فأولها : إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة ، والتبكير إليها في أول الوقت، والمشي إلى المسجد بالسكينة، ودخول المسجد داعيًا، وصلاة التحية عند دخوله كل ذلك بنية الصلاة في الجماعة ، سادسها : انتظار الجماعة ، سابعها : صلاة الملائكة عليه واستغفارهم له ، ثامنها : شهادتهم له ، تاسعها : إجابة الإقامة، عاشرها : السلامة من الشيطان حين يفر عند الإقامة ، حادى عاشرها : الوقوف منتظرًا إحرام الإمام أو الدخول معه في أي هيئة وجده عليها ، ثاني عشرها : إدراك تكبيرة الإحرام كذلك ، ثالث عشرها : تسوية الصفوف وسد فرجها ، رابع عشرها : جواب الإمام عند قوله: سمع الله لمن حمده، خامس عشرها: الأمن من السهو غالبًا وتنبيه الإمام إذا سها بالتسبيح أو الفتح عليه، سادس عشرها حصول الخشوع والسلامة عما يُلهى غالبًا ، سابع عشرها: تحسين الهيئة غالبًا ، ثامن عشرها : احتفاف الملائكة به، تاسع عشرها : التدرب على تجويد القراءة وتعلم =

* وإذا نظرنا إلى المصلين منفردين أيضًا رأينا أجورهم في ذلك تتفاوت .

فقد ينصرف الرجل من صلاته وما كُتب له إلا عشرها ، وقد ينصرف وما كُتب له إلا نصفها ، وقد

= الأركان والأبعاض ، العشرون : إظهار شعائر الإسلام، الحادي والعشرون : إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل ، الثاني والعشرون : السلامة من صفة النفاق ومن إساءة غيره الظن بأنه ترك الصلاة رأسًا ، الثالث والعشرون : رد السلام على الإمام ، الرابع والعشرون : الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر وعود بركة الكامل على الناقص ، الخامس والعشرون : قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلوات . فهذه خمس وعشرون خصلة ورد في كل منها أمر أو ترغيب يخصه ، وبقي منها أمران يختصان بالجهرية وهما الإنصات عند قراءة الإمام والاستماع لها والتأمين عند تأمينه ليوافق تأمين الملائكة ، وبهذا يترجح أن السبع تختص بالجهرية والله أعلم .

ينصرف وما كتب له إلا ثلثها أو رُبُعها ، وقد ينصرف وصلاته مردودة عليه . ولله الأمر من قَبْلُ ومن بعد ، ولكن ثَمَّ أسباب :

* فهل صلى مرائيًا ؟
* وهل أحسن الوضوء وأسبغه ؟
* وهل طهَّر ثيابه ؟
* وهل خرج مُبكرًا إلى المساجد ينتظر الصلاة ؟
* وهل أتم الركوع والسجود ؟
* وهل خشع في صلاته ؟
* وهل استحضر عظمة الله فيها ؟
* وهل جمع قلبه عند تلاوة القرآن وتفكَّر فيه وتدبر ؟
* وهل أحسن في متابعة الإمام ؟
* وهل سأل الله القبول ؟

فهذه وغيرها أمور تتسبب في تضعيف أجر الصلاة ،

ومن ثمَّ يحدث التفاوت في ذلك .

* وكذلك فالدعاء تتفاوت فيه الأجور ، ويحظى بعضه بالقبول والآخر بالردِّ والحرمان .

* فهل دعا المرء ربه منيبًا إليه ؟!

* هل دعاه خوفًا وطمعًا ؟!

* هل دعاه تضرعًا وخفية ؟!

* هل دعاه مخلصًا له الدِّين ؟!

* هل دعا بدعوة صالحة أم بدعوة فيها إثمٌ وقطيعة رحم ؟!

* هل طيب المطعم والمشرب والملبس وغُذي بالحلال؟!

* هل اعتدى في الدعاء ؟

* هل قدم المقدمات المناسبة للدعاء ؟

* هل تحرى أوقات الإجابة ؟

* هل دعا بقلب موقن بالإجابة حسن الظن بالله أم

دعا بقلب ساهٍ غافلٍ لاهٍ ؟!

* هل سارع في الخيرات ، وقدم الصالحات مع الدعاء؟

* هل جاء الدعاء بعد عمل صالح ؟!

* هل دعا بجوامع الكلم ؟

* وكذلك فهل هناك مظلوم دعا عليه أو ما يزال يدعو؟

* ثم هل سأل الله القبول ؟

فهذه وغيرها أسباب أيضًا لها بلا شك تأثير في الدعاء، وإلى ربنا المنتهى في كل شيء .

وكذلك الصدقات :

ألا ترى أن الرجل قد يتصدق بصدقةٍ فيتضاعف أجرها إلى ضعفين أو إلى عشرة أضعاف، أو إلى عشرين ضعفًا،

بل قد يتضاعف إلى سبعمائة ضعف ، بل إلى أضعاف كثيرة ، بل تأتي الصدقة التي تعدل التمرة من الكسب الطيب ، تأتي يوم القيامة كالجبل العظيم !! وكل ذلك - بعد توفيق الله وقبوله للعمل - ينبني على الملابسات المحيطة بهذه الصدقة .

* فهل تصدَّق بها المتصدق مُريدًا بها وجه الله ، وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، لا يريد من أحدٍ عليها جزاء ولا شكورًا ، أم تصدق بها مريدًا بها وجوه الناس وثواب الناس ؟!!

* وهل هذه الصدقة جاءت من كسبٍ طيب أم من كسب خبيث مشتبه ؟!!

* وهل أنفق هذه النفقة وصدره منشرحٌ بها سعيدٌ بإنفاقها ونفسه ثابتة بذلك كما قال تعالى : ﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ

أَنفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أم أنفقها وهو كاره متضرر ؟!

* وكذلك هل وضعها في يد قريب محتاج أم في يد رجل لا تربطه به قرابة ؟!

فالصدقة على القريب صدقة وصلة ، والصدقةُ على البعيد صدقة .

* وكذلك فهل وضعها في يدٍ هيَ أشد احتياجًا أم وضعها في يد غَنِيّ ؟!

* وكذلك فهل وضعها في يد مسكين متعفف لا يسأل الناس إلحافًا ، أم في يد طماع مليء ؟!

* وكذلك هل ستر على الفقير أثناء العطاء حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أم أنه فضح الفقير عند العطاء ؟

* وهل صاحب هذه الصدقة رياء أم لم يصحبها رياء؟

* وهل تصدق بها في وقت الاحتياج إليها أم في وقت الاستغناء عنها ؟

* وكذلك فمن العلماء من يرى أن التصدق في بلد الله الحرام له جميل الأجر وعظيم الثواب .

* وكذلك فهل أتبع هذه الصدقة بالمنِّ والأذى أم أتبعها بمعروفٍ من القول وجميل المغفرة ؟!

* ثم هل سأل الله القبول لهذه الصدقة أم لم يسأل؟!

فهذه وغيرها أسباب تضاعف العمل ، ومن ورائها يحدث التفاوت في الثواب وتضعيف الأجور !

* **وهكذا سائر الأعمال كالصلاة والصيام والحج والعمرة .**

فكما أسلفنا ، فالفقيه يعمل قليلا ويؤجر كثيرًا !!

وإذا ازداد عملَهَ تضاعفت أجوره أضعافًا مضاعفةً !!

والفقه إنما هو فقهٌ في كتاب الله وسنةِ رسول الله ﷺ كما قد بيّنا ، واستفادةٌ من علمائنا الأجلاء وسابقينا الفضلاء وأئمتنا الأخيار ـ رحمهم الله ـ وكيف استنبطوا

الأحكام ، وكيف فَهِموا النصوص !

*فلِذا يلزم مُريد الأجرِ والثوابِ أن يُطالع كتاب ربه (عز وجل) وسنة نبيه محمد ﷺ مُتدبرًا مُتأنيًا ، ويتزود من ذلك قدر استطاعته ، ويحمل منهما ويحفظ ما استطاع أن يحمل ويحفظ ، وهو في كل ذلك مأجور إن شاء الله تعالى ثم يسأل ربه التوفيق وصحيح الفهم وجيد الاستنباط وإنزال النصوص منازلها .

*وهاهنا بعون الله ، وأسأل الله الهداية ـ أورد بابًا مما ذُكر بشيءٍ من الإسهاب والتفصيل ، والبسط والإطناب لبيان أسباب زيادة الأجر وتعظيم الثواب ، ولشيءٍ آخر ألا وهو شرحُ مَثَلٍ من أمثال القرآن الكريم ، وكيف أن علماءنا ـ رحمهم الله ـ كانوا يفهمون الأمثال ويستنبطون منها الأحكام ، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى في كتابه

الكريم : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

*** أما الباب الذي أُريد التوسع فيه ، فهو : « باب الصدقة » .**

وأما المثلُ ، فهو المذكور في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

فإلى المثل وشَرْحِهِ وبيانِهِ ، وإلى تضاعيف الأجور وكيف تتأتى وبأي شيءٍ تكون ؟! سائلا الله الأجر والمثوبة والعفو يوم الحساب .

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

شرح وبيان

لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

لقد قال الله تبارك وتعالى في هذا المثل : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

نعم ، ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

نعم ، ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الزمر: ٥٢] .

نعم ، ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

نعم ، يا مالك الملك أنك ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

نعم ، ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٧]

نعم ، لقد قال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

نعم لكل ذلك ، ولكل ما أخبر به ربنا سبحانه ، ولكل ما حدّث به نبينا ﷺ !!

* أيقنا أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويقضي بالحق !!!

* أقررنا بأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، ويقدر ونحن لا نقدر .

* أقررنا لله بالوحدانية وأنه رب الناس وملك الناس وإله الناس !

* أقررنا له بكل أسمائه الحسنى وصفاته العلى !!

* وشهدنا لنبيه محمد ﷺ بالرسالة .

رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولا !!

ونعيدُ التذكير بقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

وللتضعيف أسبابٌ وضحها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أحسن إيضاح وبيّنها رسوله الأمين أجمل بيان!!

* لقد قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦١] .

* أما قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ أي : مَثَلُ نَفَقَةِ الذين ينفقون . . . ، فالنفقة هي التي شُبهت بالحبة .

* أما قوله تعالى : ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ أي : يُخرجون .

* وقوله تعالى : ﴿ أَمْوَالَهُمْ ﴾ أي : التي اكتسبوها من حلال فهي أموالهم لم يسرقوها ولم يختلسوها ولم

يكتسبوها من حرام .

* أما قوله تعالى : ﴿ **فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ أي : في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

* أما قوله تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ حَبَّةٍ** ﴾ أي : أن النفقة مثلها مثل الحبة .

فضرب الله مثلا للنفقة التي تُنفق في سبيل الله بحبةٍ وضعت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كلِّ سُنْبُلةٍ مائةُ حبة أي : أن الحبة تضاعفت إلى سبعمائة ضعف ، وهذا بلا شك تضعيفٌ عظيمٌ .

* لقد ورد في كتاب الله عزَّ وجل : ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ [الأنعام: ١٦٠] . وهنا ـ في هذا المثل ـ الحبةُ تضاعفت إلى سبعمائة !!

* وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : « **من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبه كما يُربى أحدكم فُلُوَّه**[١] **تكون مثل الجبل** »[٢] .

فكما هو واضحٌ من هذه النصوص أن التضعيف حصل فيه تفاوتٌ ، تمرةُ الحسنة تضاعفت إلى عشرة أمثـال ، وأُخرى إلى سبعمائة ضعفٍ ، وأخرى أضعافًا كثيرة ، وأُخرى تكون التمرة كالجبل العظيم .

---

(١) الفُلُو : هو الفرس الصغير (المُهر) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤١٠) ومسلم (حديث ١٠١٤) .

* ولا شك أن هذا التفاوت في التضاعيف له أسبابه !
وهذه الحبةُ التي تضاعفت إلى سبعمائة ضعفٍ لها أوصاف .

* فإلى أوصاف هذه الحبة ، وبالله التوفيق .

●●●

• نوع الحبة التي أنبتت سبع سنابل وتنزيل ذلك على الصدقة •

إن هذه الحبة وتلك البذرة لها أوصافٌ .

إنها حبةٌ جيدة في غاية من الجودة ، إنها بذرةٌ طيبةٌ في غايةٍ من الطِّيب ، إنها سليمةٌ من الآفات ، سليمةٌ من العطب ، لم تتسرب إلى جنينها سوسةٌ فتفسده ، ولا دودةٌ فتهلكه ، إنها ليست بقديمة قد انتهى مفعولها !!

*وكذلك الصدقة حتى يحظى صاحبها بهذا التضعيف ينبغي أن تكون طيبةً من كسبٍ حلالٍ طيبٍ . صدقةٌ لم تُكتسب بطريقٍ مُحرم ، ليست بأموالٍ مسروقةٍ ولا مُختلسة ولا مغصوبة !! لم يأخذها صاحبها بسيفِ حياء ، ولا عن غير طيبِ نَفْسٍ وخاطرٍ !!

* صدقة ليست برشوةٍ ولم تأت عن طريق خيانة ولا غَدْرٍ ، ولا عن مسألةٍ ولا إشرافِ نَفْسٍ .

* صدقةٌ بعيدةٌ عن الشبهات .

* إنها صدقةٌ طيبةٌ امتثل فاعلها قول الله تعالى وكما أمر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ** [(١)] **وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧]

---

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ** ﴾ أضاف سبحانه الكسب إليهم ، وإن كان هو الخالق لأفعالهم ؛ لأنه فعلهم القائم بهم ، وأسند الإخراج إليه ؛ لأنه ليس فعلا لهم ، ولا هو مقدورًا لهم ، فأضاف مقدورهم إليهم وأضاف مفعوله الذي لا قدرة لهم عليه إليه . ففي ضمنه الرد على من سوى بين النوعين وسلب قدرة العبد وفعله وتأثيره عنه =

. . . .

= بالكلية ، وخص سبحانه هذين النوعين وهما الخارج من الأرض والحاصل بكسب التجارة دون غيرهما من المواشي : إما بحسب الواقع فإنهما كانا أغلب أموال القوم إذ ذاك . فإن المهاجرين كانوا أصحاب تجارة وكسب ، والأنصار كانوا أصحاب حرث وزرع ، فخص هذين النوعين بالذكر لحاجتهم إلى بيان حكمهما وعموم وجودهما ، وإما لأنهما أصول الأموال وما عداهما فعنهما يكون ومنهما ينشأ فإن الكسب يدخل فيه التجارات كلها على اختلاف أصنافها وأنواعها من الملابس والمطاعم والرقيق والحيوانات والآلات والأمتعة وسائر ما تتعلق به التجارة ، والخارج من الأرض يتناول حبها وثمارها وركازها ومعدنها ، وهذان هما أصول الأموال وأغلبها على أهل الأرض ، فكان ذكرهما أهم .

ثم قال : ﴿ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ فنهى سبحانه عن قصد إخراج الرديء ، كما هو عادة أكثر النفوس : تمسك الجيد لها وتخرج الرديء للفقير .

ونهيه سبحانه عن قصد ذلك وتيممه فيه ما يشبه العذر لمن فعل ذلك لا عن قصد وتيمم ، بل عن اتفاق إذ كان هو الحاضر إذ =

. . . .

= ذاك ، أو كان ماله من جنسه . فإن هذا لم يتيمم الخبيث بل تيمم إخراج بعض ما منَّ الله به عليه .

وموقع قوله : ﴿ **مِنْهُ تُنفِقُونَ** ﴾ موقع الحال أي : لا تقصدوه منفقين منه .

ثم قال : ﴿ **وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ** ﴾ أي : لو كنتم أنتم المستحقين له وبُذل لكم لم تأخذوه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه ، من قولهم : أغمض فلان عن بعض حقه . ويقال للبائع : اغْمِضْ ، أي : لا تستقص . كأنك لا تبصر . وحقيقته : من إغماض الجفن ، فكأن الرائي لكراهته له لا يملأ عينه منه بل يغمض من بصره ويغمض عنه بعض نظره بغضًا، ومنه قول الشاعر:

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيــــ ... م رجال يرضون بالإغماض

وفيه معنيان :

أحدهما : كيف تبذلون لله وتهدون له ما لا ترضون ببذله لكم ولا يرضى أحدكم من صاحبه أن يهديه له والله أحق مَنْ يختار له خيار الأشياء وأنفسها ؟ .

والثاني : كيف تجعلون له ما تكرهون لأنفسكم ، وهو سبحانه=

* وفهم فاعلها قول رسول الله ﷺ : « **من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبّلها بيمينه فيربيها له ...** » الحديث .

* إنها كسب طيبٌ من عمل الرجل بيده ، ففي الحديث : « **ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده** » (١) .

* أو إنها من بيع مبرور أحله الله ؛ إذ الله قال : ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ**﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

= طيب لا يقبل إلا طيبًا ؟

ثم ختم الآيتين بصفتين يقتضيهما سياقهما ، فقال : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ فغناه وحمده يأبيان قبوله الرديء ، فإن قابل الرديء الخبيث ، إما أن يقبله لحاجته إليه ، وإما أنْ نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها ، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٧٢) .

* أو إنها من الهنيء الذي أهدته المرأة لزوجها عن طيب نفسٍ ، لا عن ضغطةٍ ولا بسيف حياء ، وقد قال تعالى : ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ [النساء : ٤] .

* أو من كسب الولد الذي أعطاه والده ، ففي الحديث : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولد الرجل من كسبه** » [١] .

* أو أنها من نتاج الأنعام ، أو من طيب الثمار الذي أخرجه الله من الأرض إلى غير ذلك من صور المال الحلال والكسب الحلال ، فكما أن البذرة (الحبة) يجب أن تكون طيبة حتى تنبت نباتًا حسنًا ، فكذلك ينبغي أن تكون الصدقة طيبة حتى تتضاعف وتنمو وتربو وتزداد .

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) وأحمد (٦/ ٤٢) وغيرهما، وقد حُسن سنده إلا أن فيه بعض الاختلاف .

• موضع الحبة •

وهذه الحبة الطيبة السليمة من العطب كى تنمو نماءًا حسنًا يجب أن تبذر في موضع طيبٍ وأرضٍ طيبةٍ !

إنها مهما كانت طيبةً ووضعت في أرضٍ سبخة أو أرضٍ لا تُمسك ماءًا ولا تُنبت كلأً فإنها سرعان ما تموت .

كذلك ، وإن كانت طيبة ، لكنها وضعت في أرضٍ ضعيفةِ الإنتاجِ فإن ذلك يُقلِّلُ من نتاجها ونمائها !

* **وكذلك الصدقةُ** ، وإن كانت طيبةً ، يلزم وضعها في يدٍ طيبةٍ تفعل بها خيرًا ! تُصلح بها ولا تُفسد ! يُعان بها على البر والتقوى ولا يُعان بها على الإثم والعدوان !

يُتعفف بها عن المسألة !! تُسدَّ بها جوعة جائع !! ويكتسى بها عُريانٌ !! ويُقضى بها دَينُ مدينٍ وغُرْمُ غارمٍ!! يُدخل بها سرورٌ على مسلم حزين !! ويُجبر بها خاطر

فقير مكسورٌ أو مسكين بَئِيسٍ !!

وذلك حتى تنمو نماءًا حسنًا وتربو وتزداد وتزداد !!

* إن الصدقة كلما وُضعت في يدٍ شديدة الاحتياج كلما كان ذلك أعظم أجرًا للمُحسن المتصدق !!

* لقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ [البلد: ١١ - ١٦] .

أي : أن من المنجيات ، ومن مسببات اقتحام العقبة يوم القيامة بسلامٍ وأمانٍ ، عتقُ الرِّقاب ، أو الإطعام في يومٍ ذي مجاعةٍ شديدةٍ ، ولكن إطعام مَنْ ؟ إطعام يتيم تربطك به قرابةٌ ، أو مسكينٍ شديد المسكنة والفقر كأنه لا يملك إلا التراب .

وهذا بلاشك أرجى لزيادة أجر الصدقة وحُسن نمائها .

* لقد ورد عن النبي ﷺ في شأن الصدقة على القرابة أن لها أجران : أجر الصدقة ، وأجر القرابة[1] .

فلو أعطيت جُنيهًا أو ريالا لفقير تربطك به قرابة فلك أجران !!

أما إذا أعطيته لفقيرٍ بعيد عنك فلك أجرٌ واحد !!

هذا إذا اتحدت سائر الوجوه في حقِّ هذين الفقيرين واستوت .

* ولقد ذكر النبي ﷺ رجلاً ممن كانوا قبلنا خرج يتصدق فوقعت صدقته في يد سارق فتحدث الناس بذلك قالوا : تُصُدِّقَ الليلة على سارق ، فأعاد الرجل صدقته . . وها هو الحديث بذلك .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦٦) ومسلم (١٠٠١) .

* أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **قال رجل : لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تُصدق على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية ، فقال : اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن فخرج بصدقته فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون : تُصدق على غني ، فقال : اللهم لك الحمد على سارق ، وعلى زانية ، وعلى غني فأتى فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها ، وأما الغني فلعله أن يعتبر**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٢١) ومسلم (١٠٢٢) .

فينفق مما أعطاه الله » .

* فلِحُسنِ نية هذا الرجل وحرصِهِ واجتهاده تقبّل الله صدقته ! فقد يجتهد الشخص ، ولكنه يخطئ مع حسن نواياه ، فمثل هذا المحسن المتصدق المجتهد ليس بمحروم الأجر ولا فاقد الثواب .

*** إن صدقات الفرض لها مصارف ، وصدقات النفل والتطوع لها موطن ومواطن .**

لقد قال تعالى ـ وهذا في شأن الزكوات المفروضة ـ **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة : ٦٠] .

ولقد صحح فريقٌ من العلماء حديث النبي ﷺ : «**لا**

تحل الصدقةُ لغنيٍّ ولا لذي مِرةٍ سَويٍّ » [١] .

إن صدقة التطوع تصلح في كل وجوه البرِّ ، ويُثاب صاحبها بإذن الله !!

ولقد أوضح الله مَن هُم أهلٌ لأن ينْفقُ عليهم المنفقون ويحرص عليهم المحسنون ، ومن هم أهلٌ لأن يُبذل لهم المال .

لقد قال تعالى : **﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾** [البقرة: ٢٧٣] .

* فهذه بعض صفات هؤلاء الذين يُبذل لهم المال :

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وله عدة طرق .

* إنهم فقراء .

* أحصروا في سبيل الله ، همتهم نصرةُ دين الله، ورفعُ راية الإسلام ، وسعيهم لتكون كلمة الله هي العليا ، همتهم سد الثغور ، ودرء الأعداء ، شَغَلهم هذا عن الكسب والعمل واكتساب لقمةِ العيشِ .

ولقد حُوصروا أيضًا من عدوهم ، ومُنعوا من ممارسة أعمالٍ وتجارات .

* ﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ ﴾ ، لا يستطيعون سفرًا كما يسافر غيرهم ، ولا تنقلا كما يتنقل غيرهم ، شغلهم ما هم فيه عن السفر والتنقل والترحال .

* ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ فهم لا يسألون الناس شيئًا ولا يرزءون الناس أموالهم ، بل هم أعِفَّةٌ متعففون صبرٌ متصبرون .

* الناظر إليهم من أهل الجهل يحسبهم أغنياء ، وما بهم غِنىً ، وما عندهم من مالٍ ، ولكن بهم غنى النفس.

* ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ إن السيما هي العلامة فأثر الفقر والفاقة ظاهرٌ عليهم وبادٍ !!

إن أثر الجوع يعلو الوجوه ويبدو على الأعين وفي الأجسامِ والأصواتِ !!

لكن قلَّ من يتفطن لذلك !!

وصدق الرسول صلوات ربي وسلامه عليه إذ قال : **«ليس المسكين الذي يطوف على الناس تردُّه اللقمةُ واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يُغنيه ولا يُتفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس »**[1] .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٧٩) ومسلم (١٠٣٩) .

* إنهم ﴿ **لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾ وإن كانت المسألة جائزة لهم فهم حقيقةً أهلها بل وأشد احتياجًا من غيرهم، لكنهم عرفوا ذلَّ المسألة ، فاتقوا ذلك تعففًا وتحرزًا وحفظًا لماءِ الوجوه ، لقد تركوا مسألة الناس .

فهؤلاء بلا شك ، الصدقة عليهم أعظم أجرًا ، والنفقةُ فيهم أرجى ثوابًا .

وأعود فأقول : إن الصدقة حتى تنمو نماءًا حسنًا وتربو وتزداد ينبغي أن توضع فيمن هُم للاستحقاق أهلٌ ، وللاحتياج أصحاب !!

●●●

• زمن وضع البذرة وزمن الصدقة •

وكما هو معلومٌ فإن الحبة (البذرة) قد تكون جيدة في غاية من الجودة ، وكذلك فالتربة التي ستوضع فيها طيبة هي الأخرى ، ولكن - وحتى تنمو الحبة نماءًا حسنًا - ينبغي أن يُختار لها الوقتُ المناسب لبذرها ، فَثَمَّ بُذور تُبذر صيفًا ، وإن بذرت شتاءًا ماتت ! ، وثمَّ بذور تبذر شتاءًا ، وإن بُذرت صيفًا ماتت .

فكذلك الصدقات قد تدفع في زمنٍ فيعظم أجرها ، وفي زمن آخر فيقلّ أجرها ، وفي حالٍ آخر فلا تسمن ولا تغني من جوع !!

* ألا ترى أن الله تبارك وتعالى قال : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٤] أي : ذي مجاعة!! ، فالصدقة

في مثل هذا اليوم عظيمة تسبب له يوم القيامة اقتحام العقبة وتجاوزها !

وكذلك فالصدقة قد تقع في يد شخصٍ في وقت من الأوقات يستعين بها على الإثم والعدوان والمخالفة والشقاق !

قد تقع في يد شخصٍ فيستعين بها - في وقت شجاره وخصومته - على ظُلم الآخرين .

* فتحري زمن الصدقة من أسباب نماءِها وزيادتها وتضعيف أجورها .

●●●

• كيفية وضع البذرة في الأرض وكيفية إخراج الصدقة •

والبذرة (الحبة) لوضعها في الأرض طرقٌ وكيفيات ، فثمَّ بذور تُلْقى ظاهرةً على وجه الأرض ، وثمَّ بذور تحتاج إلى عمــقٍ معيــنٍ ، وثــمَّ بُــذور أُخر تحتاج إلـى عمـقٍ سحيق !! فمراعاة أعماق البذر مطلبٌ للنماء وكذا هل توضع متجاورة أم متباعدة ؟! ، وهل توضع بكميات مع بعضها أم توضع كل بذرة على انفراد ؟! فكل ذلك له أثرٌ على النماء .

*** وكذلك الصدقات هل تخرج سِرًا أم جهرًا ؟!**

هل تخرج سِرًا سترًا على المُحتاج ورغبةً فيما عند الله من عظيم الأجر وجميل الثواب بالستر على المحاويج والأرامل والأيتام ، وحتى لا يُعيَّر واحدٌ منهم بفقره

واحتياجه من جاهلٍ لا يعرف حِكْمَةَ الله !

لقد قال تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

ولقد قال رسوله ﷺ : « **سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلّ إلا ظله .. فذكر منهم رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » [(١)] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٢٣) ومسلم (حديث ١٠٣١) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

ثم أخبر سبحانه عن أحوال المتصدقين لوجهه في صدقاتهم ، وأنه يثيبهم عليها ، إن أبدوها أو كتموها بعد أن تكون خالصة لوجهه فقال : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ أي : فنعم شيء هي ، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية ، فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه ، فيمنعه ذلك من إخراجها ، وينتظر بها الإخفاء ، فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه ، أو بينه وبين إخراجها . فلا يؤخر صدقته العلانية بعد حضور وقتها=

أم أن الأَوْلَى في وقت من الأوقات أن تخرج الصدقة

= إلى وقت السر ، وهذه كانت حال الصحابة .
ثم قال : ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ فأخبر أن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها .
وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإتياء الفقراء خاصة ، ولم يقل : وإن تخفوها فهو خير لكم ، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش ، وبناء قنطرة ، وإجراء نهر أو غير ذلك ، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد : الستر عليه ، وعدم تخجيله بين الناس ، وإقامته مقام الفضيحة ، وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته . وهذا قدر زائد عن الإحسان إليه بمجرد الصدقة ، مع تضمنه الإخلاص ، وعدم المراءاة وطلب المحمدة من الناس ، وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس ، ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها ، وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ، ولهذا جعله سبحانه خيرًا للمنفق ، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته . ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم . فإنه بما تعملون خبير .

جهرًا وعلانية ؟؟!! وذلك حتى يتأسَّى بالمتصدق أقوامٌ ويسلكون مسلكه في الصدقة فيحثهم بصدقته على الخير حثًّا ويدفعهم إلى التصدق دفعًا !!

لقد قال تعالى : ﴿ إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ... ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] .

ولقد جاء قوم إلى رسول الله ﷺ - من قبيلة مُضر - فرأى النبي ﷺ ما بهم من الفاقة فحثّ رسول الله ﷺ أصحابه على الصدقة ، وتلا عليهم بعض الآيات فجاء رجل من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجز عنها ثم تتابع الناس حتى جُمع كومان من الطعام والثياب فتهلل وجه

رسول الله ﷺ ثم قال : « **من سنّ في الإسلام سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ...** »[١] الحديث .

* وأيضًا فأحيانًا لا يسمح الوقتُ بتأجيل الصدقة لإخراجها سرًا ، فعابرُ السبيل الفقيرُ يُوشك أن يُفارق ، ولا يُستطاع تحيُّن الأوقات للإخراج إليه سرًا .

* وكذلك فهل الأَوْلى في الصدقة أن تخرج لشخصٍ واحد وفي مصرف واحد أم أن الأَوْلى تعدد الأشخاص وتنوع المصارف ؟؟!!

إن المقامات تختلف فأحيانا يرجح وجهٌ من الوجوه وأحيانا ترجح وجوه أُخر .

* فاختيار الوقت المناسب والكيفية المناسبة اللائقة كل ذلك من أسباب زيادة الأجر وتعظيم الثواب !!

(١) مسلم (حديث ١٠١٧) .

* ولنرجع إلى الحبة التى بُذرت وإلى حالِ باذرها ونية مَنْ بذر وذلك لأمر من الأهمية بمكان كريم !

فالنباتات لا تنبت إلا بإذن الله ، والذي يرسل عليها طائفًا يجعلها كالصريم هو الله .

فليُقدم الباذر متوكلا على الله نشيطًا طيب النفس واثقًا بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا !

وليستحضر الباذرُ نوايا صالحة عند وضع البذرة في الأرض ، وليعزم على فعل الخير ، فالأرزاق تستدرُّ بسبب ذلك والحبة تنبت نباتًا حسنًا بذلك .

وانظر إلى هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم (١) في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في**

(١) مسلم (حديث ٢٩٨٤) .

سحابة : اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءهُ في حرة فإذا شرجةٌ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له : يا عبد الله ، لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال : أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا ، وأرد فيها ثلثه » .

* فهكذا الصدقات يجب أن يبتغى بها وجه الله وينوي فاعلها الخير حتى تنمو وتتضاعف .

* قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ

الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

* وقال تعالى: ﴿ **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ﴾ [الليل: ١٨ - ٢١].

* وقال أهل الإيمان: ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان: ٩].

* وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: « **إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فِيّ امرأتك** » (١). فليُحسن المتصدق نواياه، ولْيَطِبْ نفسًا بصدقته وإنفاقه، وليحتَسب الأجر والثواب، وليُوقن بأن الله سيُخلف عليه وليقدم على الصدقة منشرح الصدر، مسرور النفس، سعيدًا بذلك !

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦) ومسلم (حديث ١٠٠٢).

قلت : وما أجمل الختام بقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٥] فالله بصيرٌ بك أيها المتصدق ، وبصيرٌ بعملك ، بصيرٌ بنفقتك وبصدقتك ثم هو مجازيك على حُسن صنيعك وحسن نواياك !!!

●●●

• تعاهد الحبة

وكذا تعاهد الصدقة •

والحَبَّة التي بُذرت حتى تنمو وتترعرع وتنبت نباتًا حسنًا وتزدهر لزامًا أن يرعاها من بذرها ، يرعاها بالسقيا المناسبة لها فيقدم لها الماء المناسب في الوقت المناسب ، وكذا يُقدم لها السماد المناسب بالقدر المناسب ويراعي جودة التهوية ، فإن كان ثمَّ ريحٌ عاصفٌ حماها منها ، وإن كان ثمَّ ريحٌ صرصرٌ وقاها منه إلى غير ذلك من لوازم الإنبات والنمو .

* وكذلك المُحسن المتصدق عليه أن يرعى صدقته ، ويُتبعها بسؤال الله القبول فهذا شأن أهل الإيمان عمومًا يعملون الأعمال الصالحة سائلين الله القبول ، لقد قال تعالى في شأنهم : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ

إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

إنهم يتصدقون ، يصلون ، يصومون ، يحجون ، ويخافون ألا يُقبل منهم !!!

* فهذا الخليل إبراهيم وولده صادق الوعد إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت سائلين الله القبول، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

* ها هي أم مريم عليهما السلام تنذر لله عز وجل ما في بطنها وتقول : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥] .

* وها هم عباد الرحمن : ﴿ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] .

ومع هذا الحال يقولون : ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥] .

* وها هو قانتٌ آناء الليل كثيرُ القيام لله يُطيل القيام لله رب العالمين راجيًا حَذِرًا : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩] .

* فدومًا أهل الإيمان يعملون الصالحات ويسألون الله القبول فعلى المتصدق المُحسن أن يسأل ربه دومًا القبول !

فكم من متصدقٍ تُردُّ عليه صدقته ولا تقبل !!

بل وكم من مُنفقٍ قال الله فيه : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤] .

* وهذا شخص آخر تسعر به النار أولَ ما تُسعر !! إنه شخص تصدق ليقال عنه منفق ، والحديث بذلك معلوم

ومشهور [١]!!!

هذا ، وإن كانت الصدقة من الصدقات الجارية فحتى يدوم ثوابها ويعظم أجرها ويزداد ويزداد ، فعلى صاحبها أن يتعاهدها بالإصلاح والعناية والرعاية !

إذا أنشأ مسجدًا ، وبوسعه أن يتعاهده بالنفقة اللازمة لصيانته فليفعل ! إذا استطاع أن يُقيم فيه حِلقًا لتحفيظ القرآن فليفعل ! إذا استطاع أن يتعاهده بعلماء ومحاضرين ووعاظ يُعلمون الناس ويعظوهم فعل !

* يتعاهده كذلك بالإضاءة الحسنة والفُرش المناسبة ، والمياه اللازمة للوضوء .

* يتعاهده بنظافته أو توكيل من يقوم له بذلك .

فالأجر حينئذ عظيم ، والثواب عندئذ جزيل ، والله

(١) انظر الحديث بذلك في صحيح مسلم (حديث ١٩٠٥) .

يضاعف لمن يشاء .

* وكذا في عموم أعمال البر تُتعاهد حتى ينمو الأجر ويزداد !!

* ولنرجع إلى النبتة التي نبتت وترعرعت إنه يلزم حفظها من كل ما يؤذيها ويُدمرها ! يلزم أن تحفظ من سيلٍ عارمٍ مفسدٍ ! يلزم أن تحفظ من الديدان والحشرات والآفات! ينبغي أن ينظف ما حولها ، وأن يُزال ما يشاركها من سائر الأعشاب والنباتات والعوالق !

* وكذا الصدقات ، تحفظ من كل ما يُذهب ثوابها ويمحو أثرها تحفظ فلا تتبع بالمن والأذى والرياء والسمعة!!

فكل ذلك يدمرها ، وكل ذلك يذهب بثوابها !

ألم تر أن الله تبارك وتعالى قد قال : ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

أي : واللهُ غنيٌ عنكم ، وعن صدقاتكم حليمٌ بكم إذ لم يعاقبكم على المنِّ والأَذى عاجلا غير آجل !!

ولقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤] .

فهذا مثلٌ بديعٌ ، وما أحسن أمثال القرآن وما أجملها وحاصل هذا المثل، والعليم هو الله، أن المنَّ والأذى يبطلان الصدقات كما أن الرياء يبطل الصدقات ويذهب بثوابها .

وأيضًا فمثل الرياء مع الصدقات ، وكيف أنه يذهب بثوابها كمثل المطر الشديد مع التراب والغبار الموجودَيْن على حجر صلب أملس فكما أن المطر الشديد ، وهو

الوابل ، إذا نزل على حجر أملس عليه تراب ، فإنه يذهب بالتراب تمامًا ولا يُبقي له أثرًا !!

فكذلك الرياء يفعل بثواب الصدقات ، يُذهبه ولا يبقي له أثرًا ، وكذا المن والأذى يذهبان بثواب الصدقات!!

وهذه بعض الأقوال في ذلك :

قال ابن القيم رحمه الله ـ التفسير القيم :

فإن عرض لهذه الأعمال ـ من الصدقات ـ ما يبطلها من المنِّ والأذى والرياء . فالرياء يمنع انعقادها سببًا للثواب. والمن والأذى يبطل الثواب التي كانت سببًا له فمثل صاحبها ، وبطلان عمله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس عليه تراب ﴿ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ وهو المطر الشديد ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ لا شيء عليه .

وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء

المُمَثْلِ به ، تعرف عظمة القرآن وجلالته .

فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي المانِّ والمؤذي . فقلبه في قسوة عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر . والعمل الذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر . فقسوة ماتحته وصلابته تمنعه من النبات والثبات عند نزول الوابل . فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلاء . وكذلك المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي ، والقضاء والقدر . فإذا نزل عليه وابل الوحي تكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه . فبرز ما تحته حجرًا صلْدًا ، لا نبات فيه . وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته ، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيءٍ منه ، أحوج ما كان إليه ، وبالله التوفيق .

وقال في موطن آخر من التفسير القيم أيضًا [1] :

ثم قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤] فتضمنت هذه الآية الإخبار بأن المن والأذى يحبط الصدقة ، وهذا دليل على أن الحسنة قد تحبط بالسيئة مع قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات: ٢].

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة في أول هذه الرسالة فلا حاجة إلى إعادته وقد يقال : إن المن والأذى المقارن للصدقة هو الذي يبطلها دون ما يلحقها بعدها إلا أنه ليس

(١) ص ١٥٩ .

في اللفظ ما يدل على هذا التقييد والسياق يدل على إبطالها به مطلقًا ، وقد يقال : تمثيله بالمرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر يدل على أن المنَّ والأذى المبطل هو المقارن كالرياء وعدم الإيمان فإن الرياء لو تأخر عن العمل لم يبطله ، ويجاب عن هذا بجوابين :

أحدهما : أن التشبيه وقع في الحال التي يحبط بها العمل وهي حال المرائي والمان والمؤذي في أن كل واحد منهما يحبط العمل .

الثاني : أن الرياء لا يكون إلا مقارنًا للعمل ؛ لأنه فِعَال من الرؤيا التي صاحبها يعمل لِيُرِىَ الناسَ عَمَلَه فلا يكون متراخيًا وهذا بخلاف المن والأذى فإنه يكون مقارنًا ومتراخيًا وتراخيه أكثر من مقارنته .

وقوله : ﴿ **كَالَّذِي يُنفِقُ** ﴾ إما أن يكون المعنى كإبطال

الذي ينفق فيكون قد شبه الإبطال بالإبطال أو المعنى لا تكونوا كالذي ينفق ماله رئاء الناس فيكون تشبيهًا للمُنْفِق بالمنفق .

وقوله : ﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ أي : مثل هذا المنفق الذي قد بطل ثواب نفقته كمثل صفوان وهو الحجر الأملس وفيه قولان: أحدهما : أنه واحد . والثاني : جمع صفوة ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد فتركه صلدًا وهو الأملس الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره . وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها فإنه يتضمن تشبيه قلب هذا المنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر بالحجر ، لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه

بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها كما يذهب الوابل التراب الذي على الحجر فيتركه صلدًا فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله . وفيه معنى آخر : وهو أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملا يرتب عليه الأجر ويزكو له كما تزكو الحبة إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ولكن وراء هذا الإنفاق مانع يمنع من نموه وزكائه كما أن تحت التراب حجرًا يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه . فلا ينبت ولا يخرج شيئًا .

ثم قال : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٥]

هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق . فإن

ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص . والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان إن نجا منهما كان مثله ما ذكره في هذه الآية : إحداهما : طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضًا من أغراضه الدنيوية . وهذا حال أكثر المنفقين ، والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وترددها . هل يفعل أم لا ؟ فالآفة الأولى تزول بابتغاء مرضات الله . والآفة الثانية تزول بالتثبيت فإن تثبيت النفس تشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل . وهذا هو صدقها وطلب مرضات الله إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها فإذا كان مصدر الإنفاق عن ذلك كان مثله كجنة - وهي البستان الكثير الأشجار - فهو مجتنٌّ بها أي: مستتر ليس قاعًا فارغًا . والجنة بربوة وهو المكان المرتفع ؛ لأنها أكمل من الجنة التي بالوهاد والحضيض ؛ لأنها إذا

ارتفعت كانت بمدْرَجة الأهوية والرياح . وكانت ضاحية للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها . فكانت أنضج ثمرًا وأطيبه وأحسنه وأكثره ، فإن الثمار تزداد طيبًا وزكاء بالرياح والشمس ، بخلاف الثمار التي تنشأ في الظلال ، وإذا كانت الجنة بمكان مرتفع لم يخش عليها إلا من قلة الماء والشراب فقال تعالى : ﴿ **أَصَابَهَا وَابِلٌ** ﴾ وهو المطر الشديد العظيم القدر ، فأدت ثمرتها وأعطت بركتها ، فأخرجت ثمرتها ضعفي ما يثمر غيرها أو ضعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل . فهذا حال السابقين المقربين ﴿ **فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ فهو دون الوابل . فهو يكفيها لكرم منبتها وطيب مغرسها تكتفي في إخراج بركتها بالطل، وهذا حال الأبرار والمقتصدين في النفقة ، وهم درجات عند الله . فأصحاب الوابل أعلاهم درجة ، وهم

الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وأصحاب الطل مقتصدوهم .

فمثّل حال القسمين وأعمالهم بالجنة على الربوة ، ونفقتهم الكثيرة بالوابل والطل ، وكما أن كل واحد من المطرين يوجب زكاء ثمر الجنة ونحوه بالأضعاف ، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة ، بعد أن صدرت عن ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفوسهم ، فهي زاكية عند الله نامية مضاعفة .

واختلف في الضعفين . فقيل : ضعفا الشيء : مثلاه زائدًا عليه ، وضعفه مثله .

وقيل : ضعفه: مثلاه وضعفاه : ثلاثة أمثاله ، وثلاثة أضعافه : أربعة أمثاله كلما زاد ضعفًا زاد مثلا ، والذي

حمل هذا القائل على ذلك فراره من استواء دلالة المفرد والتثنية فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه فإذا زاد إلى المثل صار مثلين ، وهما الضعف . فلو قيل : لها ضعفان . لم يكن فرق بين المفرد والمثنى . فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل ، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه ثلاثة أمثاله مضافة إلى الأصل . وهكذا أبدًا .

والصواب : أن الضعفين هما المثلان فقط ، الأصل ومثله . وعليه يدل قوله تعالى : ﴿ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ أي : مثلين ، وقوله تعالى : ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] أي : مثلين . ولهذا قال في الحسنات : ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ [الأحزاب: ٣١] .

وأما ما توهموه من استواء دلالة المفرد والتثنية فوهم منشؤه ظن أن الضعف هو المثل مع الأصل ، وليس

كذلك، بل المثل له اعتباران : إن اعتبر وحده فهو ضعف، وإن اعتبر مع نظيره فهما ضعفان . والله أعلم .

واختلف في رافع قوله : ﴿ فَطَلٌّ ﴾ .

فقيل: هو مبتدأ خبره محذوف ، أي: وطله يكفيها .

وقيل : خبر مبتدؤه محذوف تقديره . فالذي يرويها ويصيبها طل ، والضمير في ﴿ أَصَابَهَا ﴾ إما أن يرجع إلى الجنة ، أو إلى الربوة ، وهما متلازمان .

ثم قال تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٦] قال الحسن : هذا مثل ، قَلَّ والله من يعقله من الناس : شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته . وإن

أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا.

وفي صحيح البخاري عن عبيد بن عمير قال : قال عمر يومًا لأصحاب النبي ﷺ : فيم هم يرون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ ... ﴾ الآية ؟ قالوا: الله أعلم . فغضب عمر وقال : قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين . فقال عمر : قل يا بن أخي ، ولا تحقر بنفسك. قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل . قال عمر : أيُّ عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل رجل عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله .

فقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أخرجه مخرج الاستفهام الإنكاري ، وهو أبلغ من النفي والنهي وألطف موقعًا ،

كما ترى غيرك يفعل فعلا قبيحًا ، فتقول له : لا يفعل هذا عاقل ، أيفعل هذا من يخاف الله والدار الآخرة؟

وقال تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ بلفظ الواحد لتضمنه معنى الإنكار العام ، كما تقول: أيفعل هذا أحد فيه خير؟ وهو أبلغ في الإنكار من أن يقول : أيودون . وقــوله : ﴿ أَيَوَدُّ ﴾ أبلغ في الإنكار مما لو قيل : أيريد ؛ لأن محبة هذا الحال المذكورة وتمنيها أقبح وأنكر من مجرد إرادتها .

وقوله تعالى : ﴿ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ خص هذين النوعين من الثمار بالذكر ؛ لأنهما أشرف أنواع الثمار، وأكثرها نفعًا فإن منهما القوت والغذاء ، والدواء والشراب والفاكهة . والحلو والحامض ، ويؤكلان رطبًا ، ويابسًا ، ومنافعهما كثيرة جدًّا .

وقد اختلف في الأنفع والأفضل منهما .

فرجحت طائفة النخيل ، ورجحت طائفة العنب ، وذكرت كل طائفة حججًا لقولها ، فذكرناها في غير هذا الموضع .

وفصل الخطاب : أن هذا يختلف باختلاف البلاد . فإن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة بأن سلطان أحدهما لا يحل حيث يحل سلطان الآخر . فالأرض التي يكون فيها سلطان النخيل لا يكون العنب بها طائلا ولا كثيراً ؛ لأنه إنما يخرج في الأرض الرخوة اللينة المعتدلة غير السبخة ، فينمو فيها فيكثر ، وأما النخيل فنموه وكثرته في الأرض الحارة السبخة ، وهي لا تناسب العنب . فالنخل في أرضه وموضعه أنفع وأفضل من العنب فيها . والعنب في أرضه ومعدنه أفضل من النخل فيها . والله أعلم .

والمقصود : أن هذين النوعين هما أفضل أنواع الثمار وأكرمها . فالجنة المشتملة عليهما من أفضل الجنان ، ومع

هذا فالأنهار تجري تحت هذه الجنة . وذلك أكمل لها وأعظم في قدرها ، ومع ذلك فلم يعدم شيئًا من أنواع الثمار المشتهاة ، بل فيها من كل الثمرات ، ولكن معظمها ومقصودها النخيل والأعناب ، فلا تنافي بين كونها من نخيل وأعناب ، و﴿ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ** ﴾ [الكهف : ٣٢، ٣٣] .

وقد قيل : إن الثمار في آية الكهف وفي آية البقرة المراد بها المنافع والأموال والسياق يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها . لقوله في البقرة : ﴿ **لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ **فَأَصَابَهَا** ﴾ أي : الجنة

﴿ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ وفي الكهف : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف:٤٢] وما ذلك إلا ثمار هذه الجنة . ثم قال تعالى : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته ، وتعلق قلبه بها من وجوه:

أحدها : أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها .

الثاني : أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه .

الثالث : أن له ذرية ، فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته .

الرابع : أنهم ضعفاء ، فهم كَلٌّ عليه ، لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم .

الخامس : أن نفقتهم عليه ، لضعفهم وعجزهم .

وهذا نهاية ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة ، لخطرها في نفسها ، وشدة حاجته وذريته إليها . فإذا تصورت هذا الحال وهذه الحاجة ، فكيف تكون مصيبة هذا الرجل إذا أصاب جنته إعصار ، وهو الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود وفيها نار ، مرت تلك الجنة فأحرقتها ، وصيرتها رمادًا ، فصدق والله الحسن - هذا مثل قلَّ من يعقله من الناس - ولهذا نبه الله سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل ، وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه . فقال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ .

فلو فكر العاقل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه فكذلك العبد إذا عمل بطاعة الله ثم أتبعها بما يبطلها ويحرقها من معاصي الله كانت كالإعصار ذي النار المحرق

للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح .

فلو تصور العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتأمله كما ينبغي لما سولت له نفسه والله إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها ، ولكن لابد أن يغيب عنه علمه عند المعصية . ولهذا استحق اسم الجهل . فكل من عصى الله فهو جاهل .

فإن قيل : الواو في قوله تعالى : ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ واو الحال أم واو العطف ؟ وإذا كانت للعطف فعلام عطفت ما بعدها ؟

قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أنها واو الحال ، اختاره الزمخشري ، والمعنى : أيود أحدكم أن تكون له جنة شأنها كذا وكذا في حال كبره وضعف ذريته .

والثاني : أن تكون للعطف على المعنى . فإن فعل التمني وهو قوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ لطلب الماضى كثيراً . فكان المعنى : أيود لو كانت له جنة من نخيل وأعناب وأصابه الكبر فجرى عليها ما ذكر .

وتأمل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان بالصفوان الذي عليه التراب ؛ فإنه لم يُنبت شيئًا أصلا ، بل ذهب بذره ضائعًا لعدم إيمانه وإخلاصه . ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصًا بنيته لله ، ثم عرض له ما أبطل ثوابه بالجنة التي هي من أحسن الجنان وأطيبها وأزهرها ، ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها . فإن هذا نبت له شيء وأثمر له عمله ، ثم أحرقه ، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق .

فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب وشفاء للصدور وهدى ورحمة للمؤمنين .

قلت (مصطفى) : فهكذا يفعل الرياءُ مع الصدقة ، وهكذا يفعل بها المنُّ والأذى !

إن المنَّ بالصدقة على الفقير وإلحاق الأذى به ، والتسميع والرياء كل ذلك يمحو أثر الصدقة تمامًا ، ويذهب بثوابها .

فانظر إلى الحجر الأملس (الصفوان) الذي علق بهْ التراب ، كيف يكون إذا أصابه وابلٌ ، أي : إذا أصابه المطر الشديدُ ؟!!

أنه ينظفه تمامًا ويذهب بما عليه من تراب فلا يعلق به شيء ولا يكون محلا للنبات ولا للنماء ، فكيف تبذر فيه بذرة وليس عليه تراب ؟ إنه لا ينبت ولا يُثمر !

وكذلك فانظر إلى العقوبة الشديدة التي أُعدت للمنان بما أعطى !

لقد قال رسول الله ﷺ: « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » [١].

ولقد قال تعالى : ﴿ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر: ٦].

فعلى المتصدق الـمُحسن ، مُريد النماء ، مُريد مزيد الأجر والثواب أن يحفظ صدقته ، وأن يُواليها بالدعاء ، وأن يعتني بها ويقيها الآفات والموفق من وفقه الله !

قول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قول الله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ . . . ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١] .

قال رحمه الله :

شبه الله سبحانه نفقة المنفق في سبيله ـ سواء كان المراد

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) .

به الجهاد أو جميع سبل الخير ، من كل - بمن بذر بذرًا فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك ، بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها. ووقوعها موقعها .

فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص ، والتثبيت عند النفقة ، وهو إخراج المال بقلب ثابت ، قد انشرح صدره بإخراجه ، وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند إخراجه ، غير جزع ولا هلع ، ولا مُتْبِعُه نفسه ، ترجُف يده وفؤاده .

ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق بحسب مصادفته لموقعه، وبحسب طيب المنفق وزكائه .

وتحت هذا المثل من الفقه : أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر ، فالمنفق ماله الطيب لله ، لا لغيره ، باذر ماله في أرض زكية . فمغَلُّه بحسب بذره ، وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي ، ونفي الدغَل ، والنبات الغريب عنه . فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم يحرق الزرع نار ، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال ، وكان مثله كمثل جنة بربوة . وهي المكان المرتفع الذي تكون الجنة فيه نُصب الشمس والرياح فتتربى الأشجار هناك أتم تربية . فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر ، متتابع ، فرواها ونَمَّاها . فأتت أُكلها ضعفي ما يؤتيه غيرها ، لسبب ذلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطَلٌّ ، أي : مطر صغير القطر يكفيها ، لكرم منبتها تزكو على الطل ، وتنمو عليه ، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير

والقليل. فمن الناس من يكون إنفاقه وابلا ، ومنهم من يكون إنفاقه طَلا . والله لا يضيع مثقال ذرة .

ثم قال رحمه الله :

وهذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض ، ومَثَّله سبحانه بهذا المثل إحضارًا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني فيقوى إيمان المنفق وتسخو نفسه بالإنفاق ، وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل-وهي من جموع الكثرة إذ المقام مقام تكثير وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله تعالى : ﴿ وَسَبْعَ

سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ [يوسف:٤٣] فجاء بها على جمع القلة ؛ لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير . وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة:٢٦١] قيل : المعنى والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق بل يختص برحمته من يشاء وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه لصفات المنفق وأحواله وفي شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع ، وقيل : والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السَّبعمائة بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة .

واختلف في تقدير الآية فقيل : مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة ، وقيل : مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل للممثل به ، فهھنا أربعة أمور : منفق ، ونفقة ، وباذر ، وبذر ،

فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه ، فذكر من شق الممثل المنفق ، إذ المقصود ذكر حاله وشأنه ، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها ، وذكر من شق الممثل به البذر ، إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة ، وترك ذكر الباذر ؛ لأن القرض لا يتعلق بذكره ، فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان .

وهذا كثير في أمثال القرآن ، بل عامتها ترد على هذا النمط ، ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع العليم ، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه ، فإن المضاعِف واسع العطاء ، واسع الغنى ، واسع الفضل ، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق ، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ، ومن لا

يستحقها ولا هو أهل لها ، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته ، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه .

قلت (مصطفى) : وتلخيصًا ، فبين الحبة والصدقة وجوهُ مشابهةٍ كثيرة .

* فالصدقة ينبغي أن تكون من كسب طيب .

كذا تكون الحبةُ المبذورة جيدةً سليمةً من العطب .

* والصدقة ينبغي أن توضع في يد مستحقيها !!

كذا البذرة توضع في موضع يوائمها ويناسبها !!

* والصدقة يُتحرى الوقت المناسب لإخراجها .

وكذا البذرة توضع في زمنٍ يناسبها !

* والصدقة تخرج في ثوب يليق بها وبالمحتاج .

وكذا تبذر البذرة في زمن البذر المناسب لها .

* والصدقة تحفظ من الرياء والشهرة والتسميع .

وكذلك الحبة تحفظ من السيول والرياح .

* وكما أن الصدقة لا تتعقب بالمنِّ والأذى فكذلك النبتةُ تنقى من الشوائب والعوالق وتحفظ من الديدان .

* وكما أن الحبة نسأل الله سبُحانه وتعالى لها حسن النماء والإنبات .

* فكذلك الصدقة يُسأل الله تبارك وتعالى لها القبول ومزيد الأجر والثواب .

* وكما أن الباذر المؤمن يَقْوَى رجاؤه في الله ويبذر بذرته متوكلا على الله ، مُنشرحًا بذلك صدرُهُ حسن الظن بالله أن لا يخيب سعيه ولا يذهب كدُّه وتعبه .

* فكذلك المتصدق المُحسن عليه أن يوقن بالخلف ،

ويرجو الأجر ويحتسب العمل ؛ إذ الله قال : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] .

* وقد قال عليه الصلاة والسلام : « **ما نقصت صدقةٌ من مالٍ ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزًّا ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله** » (١) .

وعلى الجميع أن يخلص العمل لله .

فأخذٌ بالأسباب مع حُسن النوايا وصدق التوكل مع صالح الدعاء كل ذلك سببٌ في القبول والنماء !!

﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٣٠]

* ألا فَأَقْبِل أيها المتصدق المُحسن ولا تخش من ذي العرش إقلالا !!

* ألا فلتكن طيبَ النفس بالصدقة منشرح الصدر

(١) مسلم (٢٥٨٨) .

مسرورًا !!

* ألا فاحمد الله إذْ وفَّقك لها وأعانك عليها !

احمد الله أن جعل يدك هي العليا ، وجعلك المعطي لست بالآخذ !

* ألا فأيقن أن الله سيخلف عليك ، سيُبارك لك سيدخر لك عظيم الأجر وجميل الثواب !

إن نواياك وأفعالك يجب أن تكون خالصة لله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩]

* فليكن رجاؤك فيما عند الله ، فهو خير وأبقى .

* لا تنتظر أيها المتصدق المُحسن من الناس كبير شكرٍ ولا كثير عرفانٍ وتقدير فقليل من العباد شكور !!

والله سيرضيك ، والله سيكافئك ، وإن لم يكافئك

الناس اذكر قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل : ١٨ ـ ٢١] .

لا تُتبع صدقتك بالمنِّ والأذى ، ولا تُذهبها بالرياء والسّمعة ، تحرَّ الأيدي التي ستضع فيها صدقتك ، واحرص على العطاء في سترٍ وخفاء (١) .

* أيها المحسن المتصدق ، تصدق ولو بالقليل ، ولا تحتقر صدقتك فهذا جهدك ، وذاك وسعك ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .

* أيقن أن الله سيصرف عنك السوء والمكروه ، وسيبارك لك في عملك وأهلك ومالك وعمرك فأنت لا تدري على أي شيء سيكون الحال إذا لم تتصدق ؟؟ وإلى

(١) إلا إذا دعت ضرورة لغير ذلك .

ماذا ستؤول الأمور ، لكنّا نوقن بقوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ [الزلـزلة: ٧]!! وبقـوله تعـالى : ﴿ **وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٥]!!

إن يومًا سيأتي على المرءِ يكلمه فيه ربه تبارك وتعالى، ليس بينه وبينه حجابٌ ولا ترجمان يترجم له ثم ليقولن له: ألم أُوتك مالا ؟ فَلَيَقُولَنَّ : بلى ، ثم ليقولن : ألم أُرسل إليك رسولا ؟ فَلَيَقُولَنَّ : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ [1].

●●●

(١)البخاري (حديث ١٤١٣) .

• وبين يدي الختام •

فحقيقةً إن القلوب لَتَوْجل وإن العيون لَتَدْمَعَ ، بل وإن الدموع لتنذرف إذا تلا المرءُ كتاب ربه وتدبر ما فيه، وتأمل حُسن معانيه ! فكيف إذا اهتدى بهداه وامتثل أمره واجتنب نواهيه ؟!!

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣] فلله الحمد على هذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم .

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء الله من شيء بعد كما يحب ربنا ويرضى !

• • •

• وختاما •

فهذا ما منَّ الله به في هذا المقام ، فهذه إشارات ، ولفتات يْلفتُ النظر إليها لعلَّ مُتذكرًا يتذكر ومُتعظًا يتعظ وباغيًا للخير يُقبل وما كان في ذلك من صواب فمن الله وحده ، فله النعمةُ وله الفضلُ وله الثناء الحَسنُ ، وما كان في ذلك من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله من ذنوبي وزَلاتي ، وأعوذ بالله من همزات الشياطين ونزغاتهم وأن يحضرون !

هذا ، وأسأل ربي جل وعلا أن يُجازي نبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنا خير الجزاء ، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة ، وأن يبعثه مقامًا محمودًا الذي وعده .

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

• الفهرس •

الموضوع الصفحة

طبعت بمطابع دار الصحيفة ت : ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣

تم الصف والإخراج الفني
بمركز الصفا للكمبيوتر
منية سمنود - أجا - دقهلية
ت : ٠٤٠/٢٩٧٦١٣٧ موبايل : ٠١٢٧٥١١٠٠٣